

٢٠



يومونة بنت الحارث الهلالية

امرأة أحب الله ورسوله

مؤلفة: د. وسام بن مشهور السعيد
ترجمة: د. سعيد الشاذلي
إخراج: د. مصطفى مصطفى

www.alukah.net



استقبلت مكةُ وأهلها الرسولَ ﷺ وأصحابه في العام السابع للهجرة في شهر ذي القعدة لمدة ثلاثة أيام ، لتأدية العمرة في بيت الله الحرام ، حسب الاتفاق الذي وقعه الطرفان في صلح الحديبية في العام السادس للهجرة .

وطوال هذه الأيام الثلاثة ، راح المسلمون يطوفون بالبيت ويدبرفون الدُموع وهم يدعون ربهم في خشوع :

- رَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ .. إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ .

ويتلون قوله (تعالى) :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

[سورة الفتح : ٢٧]

ونظر أهل مكة إلى هذا المشهد المهيب الذي يروونه لأول مرة في حياتهم ، ففاضت دموعهم ، وأحسوا بشيء ما في أعماقهم

« أم الفضل لبانة بنت الحارث ، زوجة العباس بن عبد المطلب ،
حيث كانت أم الفضل امرأة مسلمة مؤمنة بالله ورسوله ،
أسلمت منذ وقت مبكر ، وكان لها مواقف مشهودة في
تاريخ الإسلام والمسلمين ، فقد حضرت أبا لهب بعمود في
منزلها فشجّت رأسه حين اعتدى على خادمها الذي أعلن
إسلامه ، وقالت له أم الفضل :

— استضعفته حين غاب عنه سيده ؟

وانصرف أبو لهب ذليلاً بعد أن لقنته أم الفضل درماً
لا ينسأه أبداً .

لاحظت أم الفضل أن قلب أخيها ، ميمونة ، يهفو إلى
الرسول ﷺ ، ويحن إلى نور الإسلام فسألته على حين غفلة :

— هل تشعاقين للقاء محمد ﷺ ؟

فدمعت عيناها وقالت :

— وددت لو أنعم الله عليّ بالوصول من حبيبه ﷺ ،

كَيْ أُغْتَسَلَ مِنْ ذُنُوبِي بِنُورِ وَجْهِهِ ، وَأَحْيَا مَا بَقِيَ مِنْ
حَيَاتِي فِي كَنَفِهِ وَطَاعَتِهِ .

فَقَالَتْ أُمُّ الْفَضْلِ :

« عَمِيَ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ لَكَ هَذَا الرَّجَاءَ ، فَأَنْتِ امْرَأَةٌ
شَرِيفَةٌ النَّسَبِ ، تَعْلُقُ قَلْبَكَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .
وَأَضَافَتْ أُمُّ الْفَضْلِ قَائِلَةً :



- إذا جاء العباسُ زوجي ، ذكرتُ له ذلكِ اوفى نهاية
 الأيامِ الثلاثة ، وفي منزل العباسِ قالتُ له « أمّ الفضل » :
 - إن أخى « ميمونة » قد مات عنها زوجها
 أبو رهم ، وهى امرأةٌ تحبُ اللهَ ورسولهُ ، فاذكُرْها عند
 رسولِ الله ﷺ ، عسى أن تُصبحَ أمًا للمسلمين .

فتفكر العباسُ فى كلامِ زوجته ثم قال :

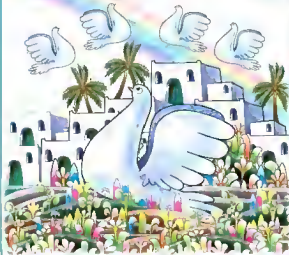
- واللهِ لو تمَّ ذلكِ ، لكانَ له أكبرُ الأثرِ فى نفوسِ أهلِ
 مكةَ ، وخاصةً أهلِكُمُ الهالِئين .. سوفَ أذكرُ ذلكِ لابنِ
 أخى ﷺ .

وانطلق العباسُ حتى أتى النبيَّ ﷺ ، فأخذَ يذكُرُ له
 ميمونةَ بنتَ الحارثِ ، ويصفُ له حبُّها للهَ ورسولهُ ، ثم
 قالَ له :

- يا ابنِ أخى ، لقد فقدتُ « ميمونةَ » زوجها ، فتزوجها
 فإنَّ زواجكُ منها سيكونُ بركةً وخيرًا على أهلِ مكةَ ،

فقد يكون سببا في استمالتهم إلى الإسلام ، كما أن
« ميمونة » امرأة شريفة مؤمنة .

ووافق الرسول ﷺ على الزواج من ميمونة وأصدقها
أربعمائة درهم ، وأصبح الناس في مكة لا حديث لهم
سوى زواج الرسول الأعظم من هذه المرأة المؤمنة



التي أحبت الله ورسوله ، وتمنت أن بكرمها الله
بالقرب من رسول الله ﷺ ، فكافأها بأن صارت زوجة
لرَسُولِ ﷺ وأما للمؤمنين .

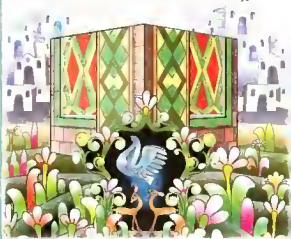
كانت الأيام الثلاثة التي يؤدي فيها المسلمون العمرة
قد أوشكت على الانقضاء ، وقد أراد الرسول ﷺ أن
يتخذ من زواجه من « ميمونة » وسيلة للزيادة في التفاهم
بينه وبين قريش ، فلما جاءه زعماء مكة يقولون له :
- إنه قد انقضى أجلك ومكثت بمكة أياما ثلاثة فاخرج عنا .
فقال لهم ﷺ :

- ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم
وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه ؟

وخشي زعماء قريش وسادتها أن يؤثر بقاء محمد ﷺ
هو وأصحابه في أهل مكة فيشبعون دينه ، بعد أن رأوا
كيف تأثروا بمحمد ﷺ ، فقالوا في إباء :
- لا حاجة بنا إلى طعامك فاخرج عنا .



ولم يتردد الرسول ﷺ في الخروج من مكة بعد انقضاء الأيام الثلاثة تنقيداً للعهد الذي أبرمه مع أهلها ، وتركه خادماً أباً رافع ، لكي يصطحب أم المؤمنين ، ميمونة ، إلى المدينة المنورة لكي تلحق به ﷺ . فبقى أبو رافع بمكة حتى أتى بها النبي ﷺ بالقرب من التنعيم .



وَصَدَّقَتِ الْأَيَّامُ تَفْدِيرَ الرَّسُولِ ﷺ ، فَلَمْ تَعْرِ سُبُوحَ أَيَّامِ قَلِيلَةٍ عَلَى زَوْاجِهِ ﷺ مِنْ ، مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ وَخَاصَّةً مِنْ أَقَارِبِهَا يَعْلَنُونَ دُخُولَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

فَقَدَّ وَقَفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ - وَكَانَ حَتَّى هَذَا الْوَقْتُ مَا يَزَالُ مُشْرِكًا - فَقَالَ :

- لَقَدْ اسْتَبَانَ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِسَاحِرٍ وَلَا شَاعِرٍ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَحَقُّ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَتَّبِعَهُ !

وَلَمْ يَصُدِّقْ أَهْلُ مَكَّةَ آذَانَهُمْ ، فَرَدَّ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَائِلًا :

- لَقَدْ صَبَّاتَ يَا خَالِدُ .

فَقَالَ خَالِدٌ :

- بَلْ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَحَارَلَ عَكْرَمَةُ أَنْ يَنْشَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ فِرَارِهِ هَذَا فَقَالَ لَهُ :

- والله ، إن كان أحقُّ قُرَيْشٍ ألا يتكلم بهذا الكلام لغير أنت .
فقال خالد :

- ولم ؟

فقال عكرمة :

- لأن محمداً قد وضع شرف أبيك حين جرح ، وقتل
عمك وابن عمك بدر . فوالله ما كنت لأسلم ولأتكلم



بكلامك يا خالد . أما رأيت قريشاً يريدون قتاله ؟

فأجابه خالد في هدوء :

- هذا أمرُ الجاهليةِ وحميتها . لكني والله أسلمتُ حين

تبين لي الحق .

وحين عجزَ عكرمة عن مجادلة خالد بن الوليد ، بعث

إلى أبي سفيان ليرده ، ف جاء أبو سفيان وقال في غيظ :

- أحق ما بلغني عنك يا خالد ؟

فقال خالد ؟

- نعم وربِّي ، إنه لحق !

فقال أبو سفيان في غضب :

- واللواتِ والعزى لو أعلم أن الذي تقول حق ، لبدأتُ

بك قبل محمد .

فقال خالد :

- فوالله إنه لحق على رغم من رغم وأبى !

وترك أبو سفيان خالد بن الوليد فلحق برسول الله ﷺ ،
 ثم تبعه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهما ،
 وقد تأثر بهؤلاء كثير من أهل مكة ودخلوا في الإسلام ،
 وكان ذلك كله تمهيداً لفتح مكة ودخول أهلها جميعاً
 في الإسلام .

وانتقلت « ميمونة » إلى بيت النبي ﷺ ، وهناك قامت
 بدورها كزوجة للنبي وكأم للمؤمنين على أكمل وجه ،
 فقد كانت حريصة على إرضاء الله ، وإرضاء رسول الله ﷺ .
 ففي مرض الرسول ﷺ الأخير ، كان الرسول ﷺ
 يرقد في منزل « ميمونة » (رضي الله عنها) ، فلما
 أحس برغبته ﷺ في الانتقال إلى بيت عائشة (رضي الله عنها) ،
 رضيت أن ينتقل ﷺ حيث أحب ، فقد كان ما يرضي
 رسول الله ﷺ يرضيها .

وعاشت « ميمونة » (رضي الله عنها) بعد وفاة النبي ﷺ
 عمراً مديداً ، وحين حضرتها الوفاة ، طلبت من أهلها أن
 يدفنها في نفس المكان الذي شهد زواجها الميمون من
 سيد الخلق ﷺ ، فدفنوها في قرية « سرف » بالقرب من
 التَّعِيم ، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين للهجرة .

وقد شهدت زوجات النبي ﷺ لميمونة (رضي الله عنها) بالصَّلاح والتَّقوى وصلة الأرحام .
 فذات يوم كان يزيد بن الأصم ابن أخت ميمونة هو وابن أخت لعائشة (رضي الله عنها) ، كانا بالقرب من دار ميمونة (رضي الله عنها) ، وقد بلغ عائشة عنهما ما يسرُّهما فوعظت ابن أختها ونصحتهُ بالتقوى ، ثم قالت لابن أخت ميمونة (رضي الله عنها) :

إِنِّي أَخُوتُكِ وَأَنْتِ أَسْرِي



أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت من
بيوت رسول الله؟ ذهبت والله ميمونة، ورُمي بحبلك
على غاريك. أما إنها كانت والله من أتقانا لله،
وأوصلنا للرحم.

رحم الله أم المؤمنين: ميمونة بنت الحارث الهلالية،
آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ، وكان زواجها خيراً وبركة
على قومها وأهل مكة جميعاً، ورحمها الله رحمة واسعة
ونفعنا بسيرتها المباركة العطرة..

(نمت)

الكتاب القادم

مأرية القبطية

رقم الإصدار: ٢٠٠٧٧٨٩٩
٩٧٧ - ٩٧٦ - ٨١٦ - ٢